شرح
رسالة العبودية

المجلس السابع

فضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

شرح

رسالة العبودية

المجلس السابع

لفضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين.

قال المصنف رحمه الله في رسالة العبودية: [فَذكر إِسْلَام الكائنات طَوْعًا وَكرها لِأَن الْمَخْلُوقَات جَمِيعهَا متعبدة لَهُ التَّعَبُّد الْعَام سَوَاء أقرّ الْمقر بذلك أَو أنكرهُ وهم مدينون لَهُ مدبرون فهم مُسلمُونَ لَهُ طَوْعًا وَكرها لَيْسَ لأحد من الْمَخْلُوقَات خُرُوج عَمَّا شاءه وَقدره وقضاه وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِهِ وَهُوَ رب الْعَالمين ومليكهم يصرفهم كَيفَ يَشَاء وَهُوَ خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهم وكل مَا سواهُ فَهُوَ مربوب مَصْنُوع مفطور فَقير مُحْتَاج معبد مقهور وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْوَاحِد القهار الْخَالِق البارئ المصور.

وَهُوَ وَإِن كَانَ قد خلق مَا خلقه بِأَسْبَاب فَهُوَ خَالق السَّبَب والمقدر لَهُ وَهَذَا مفتقر إِلَيْهِ كافتقار هَذَا وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَات سَبَب مُسْتَقل بِفعل خير وَلَا دفع ضرّ بل كل مَا هُوَ سَبَب فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى سَبَب آخر يعاونه وَإِلَى مَا يدْفع عَنهُ الضِّدّ الَّذِي يُعَارضهُ ويمانعه.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَحده الْغنى عَن كل مَا سواهُ لَيْسَ لَهُ شريك يعاونه وَلَا ضد يناوئه ويعارضه].

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحابته وسلم تسليما كثيرا وبعد.

في هذا المقطع الذي ذكر، ذكر الربوبية العامة، والحكم الكوني العام، القدري الذي لا يخرج عنه شيء سواء كان عاقلا أو غير عاقل، وهذا لا اختيار للمخلوق فيه، ولهذا لا يثاب على ذلك، إلا إذا صار عنده نية صالحة في هذا، وقصد ذلك في طاعة لله جل وعلا واستسلام له، أما كون تجري هذه ا لكائنات على وفق تقديره ومشيئته فلا دخل للخلق في ذلك، سواء رضوا أو سخطوا، فهو جل وعلا المدبر لكل شيء الذي يتصرف فيه، ولكن بعض الناس لا يعقل هذا ولا يستشعر به، فيصبح يتعلق على الأسباب، ويرى وينظر إلى الأسباب إلى أنها هي التي صار بها كذا وكذا، وقد يكون هذا قريبا أو بعيدا، لهذا تجد مثلا كثيرا من الناس يعتمد على الشيء الذي يتصرف فيه، فإذا وقع في أمر مقدر وجدته إما يلوم نفسه أو يلوم الآخرين الذين كانوا جزء من السبب أو بعض السبب على هذا، وربما غضب غضبا شديدا، ووجدته يلعن ويشتم وغير ذلك، مع أنه لا دخل للناس في هذا، غير أن الأسباب التي يتسبب فيها الإنسان هو مسئول عنها، يجب أن يسأل عن ذلك، ولهذا نقول: أن ما تقوله الطائفة التي تعتمد على أن الإنسان أنه مدبر، أنه لا يمكن أن هذا الكون وهذه الحياة تستقيم وتسير على وفق الحياة على هذا المذهب، ولا يمكن أن يستقيم هذا المذهب، لأنهم يجعلون الإنسان العاقل الذي يتصرف هو المسئول في هذا، فلابد أن يسأل، وهذا شيء فطر الله ﷻ عليه الخلق، حتى ا لصغار مثلا، الولد الصغير إذا ضربه أحد فبكى، فتقول: اسكت ما حد ضربك ما يقتنع، لأن الله جل

وعلا فطر الخلق على أن كل أثر له مؤثر ولابد، ولابد أن يؤخذ الإنسان بفعله، بغض النظر عن كون المدبر للأصل والمقدر هو الله جل وعلا، وإن كانت الأمور جرت بغير عاقل مكلف هذا أمر، وإن كانت بعاقل مكلف، فلابد أن يسأل عن أفعاله إن كان هو سبب أو جزء من السبب، ثم يجب أن يكون التعلق بالله جل وعلا، وأن نعلم أن الله جل وعلا هو المدبر لكل شيء وهو المصرف لكل حركة وسكون، فهذا يدخل في الإيمان بالقدر، أقدار الله جل وعلا، ولا ينافي النظر إلى السبب، ولهذا أمرنا بفعل السبب الذي جعله الله سببا، وأمرنا ألا نعتمد عليه، أن نعتمد على ربنا جل وعلا، فلابد من الجمع بين هذا وبين الأمر الشرعي، نجمع بين الأمر القدري وننظر إلى السبب، سبب وليس هو الذي يعتمد عليه في الشيء الذي يقع أو لا يقع، ثم نوفق بينه وبين الشرع الذي أمرنا به، حتى تستقيم الأحوال، ونصبح عبيدا لله جل وعلا نعم.

القارئ: [قَالَ تَعَالَى [٣٨ الزمر] : ﴿قل أَفَرَأَيْتُم مَا تدعون من دون الله إِن أرادنى الله بضر هَل هن كاشفات ضره أَو أرادنى برحمة هَل هن ممسكات رَحمته قل حسبى الله عَلَيْهِ يتوكل المتوكلون﴾].

الشيخ: يعني أن المعبودات أنها لا تصرف فيها، فكيف تتجهون إليها وتطلبون منها الشفاعة وهي لا تنفع ولا تضر؟ فهذا أصل في أن العبادة والتعلق تعلق القلب فيمن يجلب النفع ويدفع الضر، فإن لم يكن كذلك فهو باطل، لهذا أمره الله جل وعلا أن يسأل المشركين، أفرأيتم يعني أخبروني، مما تدعون من آلهتكم،

إن أرادني الله جل وعلا بضر، هل تستطيع أن تكشف هذا الضر أو تمنعه، وهل تزيله أو تخففه أو تمنعه قبل حصوله؟ أو أرادني برحمه، والضر هنا فسر إما بالمرض أو بالفقر أو بإدالة عدو وما أشبه ذلك، والرحمة فسرت بضد ذلك، بالعافية والرزق والصحة والتوحيد والنصر، يقول: هل تستطيع أن تمنع هذا، يقول مجاهد:فسألهم فسكتوا، لأنهم يعلمون أنها لا تفعل شيء، وهذا أمر ظاهر، ثم قال له جل وعلا: ﴿قل حسبى الله﴾، يعني هو كافيني في كل ما يتوقع، من أذى أو ضر، التجأ إليه وأجعله عمدتي واتكالي عليه، ﴿حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون﴾، وهذا كثير في القرآن، ويبين جل وعلا أن المعبودات لا تنفع ولا تضر، وتكون عبادتها ضرر بلا نفع، وليس معنى ذلك أن هذا منها، هذا من الفاعل نفسه، الضر من الفاعل لأنه وضع العبادة في غير موضعها فصار ظالما، فيعاقب على ظلمه، نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يمسسك الله بضر فَلَا كاشف لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يمسسك بِخَير فَهُوَ على كل شَيْء قدير﴾ وَقَالَ تَعَالَى عَن الْخَلِيل: [٧٨-٨٢ الْأَنْعَام] : ﴿يَا قوم إِنِّى بَرِىء مِمَّا تشركون ۝ إِنِّى وجهت وَجْهِى للَّذى فطر السَّمَاوَات وَالْأَرْض حَنِيفا وَمَا أَنا من الْمُشْركين ۝ وحاجه قومه قَالَ أتحاجونى فِى الله وَقد هدان وَلَا أَخَاف مَا تشركون بِهِ إِلَّا أَن يَشَاء رَبِّى

شَيْئا ﴾ إِلَى قَوْلـه: ﴿ الَّذين آمنُوا وَلم يلبسوا إِيمَانهم بظُلْم أُولَئِكَ لَهُم الْأَمْن وهم مهتدون ﴾].

الشيخ: هذا من تمام المناظرة التي وقعت بين إبراهيم وقومه على القول الصحيح من المفسرين، لأن بعض المفسرين قال في هذا قولا باطلا، هو أن إبراهيم أول ما عقل ونظر شاهد كوكبا قال: هذا ربي ثم ترقى إلى آخره، وهذا لا يجوز، والصحيح أن هذه مناظرة، يعني لأن قومه كانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل، فناظرهم في ذلك، يقول: هذا ربي؟ والأفول هو الذهاب، وإذا كان إلها كيف يذهب؟ الإله الذي يعبد يجب أن يكون رقيبا شاهدا، يراقب معبوده ويعلم تصرفاته، ويكون عليه أيضا حسيبا في ذلك، أما إذا غاب وذهب، معنى ذلك أنه لا يصح أن يكون إله، وهكذا يترقى من شيء إلى شيء، إلى أن قال: ﴿ وحاجه قومه ﴾، يعني أن هذه الحجة بدأت من الأول، لما تبرأ من شركهم، وأخبر أن آلهتهم كلها لا تنفع ولا تضر، ثم كعادة المشركين يهددون من نعاهم أن آلهتهم قد تضره، كما قالوا لهود عليه السلام: ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾، يعني بجنون، لأنك خالفت الجميع وجئت بشيء لا نعرفه، فأنت مجنون، والذي جنك هو بعض الآلهة لأنك خالفتها، قال: ﴿ إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ﴾، يعني اجتمعوا أنتم كلهم واستدعوا آلهتكم ثم اصنعوا

ما تستطيعون صنعه بي، فلن تصلوا إلى هذا، هذا تحدي لهم، وكذلك الآية التي مرت معنا بالنسبة لنبينا ﷺ فإنه تحداهم أن يضروه بشيء وآلهتهم ما استطاعوا، وكذلك نوح: ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فاجمعوا أمركم وشركاءكم﴾، إلى آخره، فهذه سنة الكافرين، كانوا يخوفون من خالفهم بآلهتهم، إلى الآن على هذه السبيل وهذه الطريقة، لو جئت إلى عابد القبر وقلت له: اتق الله القبر ما ينفعك ولا يضرك، اعبد ربك، قال: أخوفك هذا الولي، إذا خالفته تراه يعمل فيك ويعمل فيك، فهم على سنة واحدة سائرون، ففي هذه المناظرة قال في النهاية: كيف أخاف ما أشركتم، يعني كيف تخوفوني بأصنامكم وكيف أخافها وأنتم لا تخالفون الله لأنكم أشركتم به؟ ثم قال: أي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ سواء كان ثم جاء الحكم، وسواء كان الحكم هذا من تمام المناظرة، كما كان لإبراهيم، أو أنه حكم، حكم الله به بين إبراهيم وقومه، فقال: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾، فجاء الأمن بأل التي تدل على الكمال والاستغراق، وغلبة الشيء، يعني الأمن يكون لهم في الدنيا والآخرة، وهم مهتدون إلى ما خلقوا به وأمروا به وهو عبادة الله وحده جل وعلا نعم.

القارئ: [وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَن عبد الله بن مَسْعُود رضي الله عَنهُ أَن هَذِه الْآيَة لما نزلت شقّ ذَلِك على أَصْحَاب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَقَالُوا: يَا

رَسُول الله أَيّنَا لم يلبس إِيمَانه بظُلْم؟ فَقَالَ: " إِنَّمَا هُوَ الشّرك ألم تسمعوا إِلَى قَول العَبْد الصَّالح [١٣ لُقْمَان] : ﴿إِن الشّرك لظلم عَظِيم﴾ ".

وَإِبْرَاهِيم الْخَلِيل إِمَام الحنفاء المخلصين حَيْثُ بعث وَقد طبق الأَرْض دين الْمُشْركين قَالَ الله تَعَالَى [١٢٤ الْبَقَرَة] : ﴿وَإِذ ابتلى إِبْرَاهِيم ربه بِكَلِمَات فأتمهن قَالَ إِنّى جا علك للنَّاس إِمَامًا قَالَ وَمن ذريتى قَالَ لَا ينَال عهدى الظَّالِمين﴾ فَبين أَن عَهده بِالْإِمَامَةِ لَا يتَنَاوَل الظَّالِم فَلم يَأْمر الله سُبْحَانَهُ أَن يكون الظَّالِم إِمَامًا وَأعظم الظُّلم الشّرك.

وَقَالَ تَعَالَى [١٢٠ النَّحْل] : ﴿إِن إِبْرَاهِيم كَانَ أمة قَانِتًا لله حَنِيفا وَلم يَك من الْمُشْركين﴾ وَالْأمة هُوَ معلم الْخَيْر الَّذِي يؤتم بِهِ كَمَا أَن الْقدْوَة الذي يقْتَدى بِهِ. وَالله تَعَالَى جعل فِي ذُرِّيَّته النُّبُوَّة وَالْكتاب].

الشيخ: هذا من معاني الأمة، معنى من معاني الأمة، وإلا الأمة تطلق على أشياء كثيرة، منها الجماعة كما هو معروف، ﴿لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس﴾، هذا ظاهر جدا، ومنها الملة والدين والنحلة، هذه أمتكم أمة واحدة، يعني دينكم وشرعكم، وأنا ربكم فاعبدون، يعني أن الذي يؤمر به الخلق هو عبادة الله، يعني ما جاء رسول إلا يأمر الناس بعبادة الله، هذه الأمة، هذه أمتكم أمة واحدة، كقوله جل وعلا: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، ومنها كذلك

الطائفة من الزمن، كما قال الله جل وعلا في قصة يوسف عليه السلام الذي رأى الرؤيا، قال: اذكرني عند ربك، الذي ظن أنه ينجوا، فأنساه الشيطان ذكر ربه، فلما رأى الملك الرؤيا العجيبة التي، تذكر قال: ﴿وادكر بعد أمة﴾، يعني بعد أيش؟ بعد وقت فات، ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾، أمة معدودة يعني وقت محدد، فهنا فيه إطلاقات غير هذه للأمة نعم.

القارئ: [وَالله تَعَالَى جعل فِي ذُرِّيَّته النُّبُوَّة وَالْكتاب وَإِنَّمَا بعث الْأَنْبِيَاء بعده بملته].

الشيخ: الأمور التي تأتي في القرآن، والمعاني التي قد يكون لفظها واحد ومعانيها مختلفة، هذه وغيرها من ألفاظ القرآن ومعانيه ومفرداته، نافعة جدا الإنسان أنه يعرفها ويتتبعها حتى لا يقع في الخطأ، وكذلك المعاني، المعاني نفسها قد تأتي مثلا ألفاظ في القرآن، يعني ألفاظ لفظها واحد، ولكن المعنى يختلف، والاختلاف قد يكون مختلفا يجب أنه ينظر إلى مراد المتكلم فيه، ومراد المتكلم يتبين بالنظر والحال وكذلك بما يحيط بالكلام نفسه، وهذا قد يتعلق بصفات الله جل وعلا وأفعاله، ويتعلق بما يؤمر به الإنسان، لهذا نقول: لا يجوز للإنسان أن يأخذ شيئا على وتيرة واحدة، ثم يتمسك به دائما، يجب أن يكون مقصوده ونظره إلى مراد المتكلم، ومراد المتكلم يتبين بالقرائن والسياق، والنظر إلى الحال، فمثال ذلك مثال، الأمثلة كثيرة، ولكن المثال في صفات الله تعالى، فيتبين

أن أهل السنة ليس مقصودهم أنهم يأخذوا الشيء، يجعلوه قاعدة وتيرة واحدة، مثلا: لفظة المجيء المضافة إلى الله، هل نأخذها على وتيرة واحدة، وإذا جاءت كلها نقول: يجب أن يكون هذا على ظاهره، لا يجوز هذا، قول الله جل وعلا: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾، إذا قال لنا قائل مثلا: هل ينظرون إلى أن يأتيهم الله، يعني يأتيهم عذابه أو يأتيهم جنده وملائكته، أو يأتيهم أمره، أو يأتيهم سلطانه، كما تقول المؤولة هكذا يقولون، نقول: هذا باطل، الإتيان أضيف إلى الله جل وعلا فعلا، يفعله حقيقة، ولم يأتي الشيء الذي يصرفه، ولا في ذلك محذوف، ولهذا قال: وجاء ربك، وإن كان هذا، قد يقول أهل الباطل: أن هذا من مجاز الحذف، فالمجاز يقولون: أنه موجود في لغة العرب، والتقدير وجاء أمر ربك، وجاء ملك ربك، نقول: هذا نفس المعنى يأباه ويبطله، لأنه جاء في قول الله جل وعلا: ﴿هل ينظرون أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾، فهذا التعداد والتنوع يأبى هذا التأويل من كل جانب، ويجعل هذا التأويل باطلا، فإذاً كيف يقال هذا في هذه الآية، ويقال في آية أخرى، ما يستطاع أنها تؤول إلا بنوع من التكلف، لكن إذا جاء مثلا شيء يجب أن ننزه ربنا عنه، وهو مضاف إلى الله، فنقول هكذا: في قوله جل وعلا: ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾، ﴿فأتى الله نبيانهم من القواعد﴾، الله يأتي من

سيسان الحيطان؟ لا يجوز، إذا قال لك المبطل مثلا، أنت تناقض، لماذا هنا تقول: هذا العذاب يأتيهم عذاب الله، وهناك تقول: يأتي الله؟ نقول: لا نتناقض لأننا ننظر إلى مراد المتكلم وما يليق به جل وعلا، ونعلم أن هذا لا يليق بجلال الله جل وعلا أنه يأتي من تحت، إنما الله جل وعلا يأتي من العلو، الذي في قوله جل وعلا: ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾، إن قال لك قائل مثلا، يلزمك أن تقول في هذه الآية كما قلت في آية البقرة، أقول: لا يلزمني لأن هذا شيء معلوم وهم بني النضير، أتاهم عذاب الله وجنده مع رسوله ﷺ، فخربوا بيوتهم بأديهم وأدي المؤمنين خوفا ورعبا مما أحاط بهم من جنود الله جل وعلا مع رسوله، فهم قوم عاصين في هذه الحياة، الله لا يأتي إلى الأرض في هذا الوقت في هذه الحياة، وهكذا القول الذي يعين المعنى هو السياق والقرينة، فإذا تبين لنا مراد المتكلم فليس تأويلا، بل هو الظاهر وهو الحقيقة نعم.

القارئ: [قَالَ تَعَالَى [١٢٣ النَّحْل] : ﴿ثمَّ أَوْحَينَا إِلَيْك أَن اتبع مِلَّة إِبْرَاهِيم حَنِيفا وَمَا كَانَ من الْمُشْركين﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٦٨ آل عمرَان] : ﴿إِن أولى النَّاس بإبراهيم للَّذين اتَّبعُوهُ وَهَذَا النَّبِي وَالَّذين آمَنُوا وَالله ولى الْمُؤمنِينَ﴾].

الشيخ: المقصود الثناء على إبراهيم عليه السلام، والأمر بإتباع طريقته في التبري من المشركين، فيكون اتجه إلى ربه وتعلق به وحده، وتبرأ من كل معبود دونه، وأمرنا أن نتأسى به في هذا، ولهذا نهينا أن نتأسى به في دعائه لأبيه واستغفاره لأبيه، ولهذا قال: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾، يعني هذا لا تتأسوا به، ولا تستغفروا للمشركين ولو كانوا آباؤكم نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [٦٧ آل عمران] : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيم يَهُودِيّا وَلَا نَصْرَانِيّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفا مُسلما وَمَا كَانَ من الْمُشْركين﴾].

الشيخ: وإبراهيم يتنازعه كل طائفة، اليهود يزعمون أنه منهم والنصارى كذلك والمشركون كذلك، فأخبر الله جل وعلا أنه ليس من طائفة من هذه الطوائف، بل هو حنيفا لله، والحنيف هو المائل عن كل قصد وإرادة وفعل بالاختيار والفعل الذي يعتمد إلى توحيد الله وحده، فهو مجانب أهل الأرض كلهم بعباداتهم واتجاهاتهم إلى عبادة الله وحده، وهذا هو الحنيف في لغة العرب، فالحنيف في لغتهم هو الموحد، الموحد الذي يعبد الله وحده، لهذا لما جاء عدي ابن حاتم وهو عربي، ولكنه دخل في النصرانية وكان نصرانيا، فقال له الرسول ﷺ: «لماذا تفر من النصرانية، أتفر بأن يقال: الله أكبر»، هل تعلم أن هناك شيء أكبر من الله؟ تفر من أن يقال لا إله إلا الله، هل هناك إله غيره؟ لما ذكر أن النصارى اتخذوا أحباركم ورهبانهم، فقال له: أنا حنيف، ولذلك برأ الرسول ﷺ قوله أنا حنيف يعني أنا موحد، قد دخلت في التوحيد، وتركت هذا

الدين وهذا المذهب، المقصود أن كلمة حنيف في اللغة العربية تطلق على الموحد الذي لا يعبد إلا الله، نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [١٣٥-١٣٦ الْبَقَرَة] : ﴿وَقَالُوا كونُوا هودا أَو نَصَارَى تهتدوا قل بل مِلَّة إِبْرَاهِيم حَنِيفا وَمَا كَانَ من الْمُشْركين قُولُوا آمنا بِاللَّه وَمَا أنزل إِلَيْنَا وَمَا أنزل إِلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب والأسباط﴾ إِلَى قَوْله: ﴿وَنحن لَهُ مُسلمُونَ﴾].

الشيخ: الآية التي سبقت في كون الصحابة لما نزلت هي قوله: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾، نقول: أنها شقت على الصحابة وقالوا: أينا لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وذلك أن الصحابة فهموا منها أن الظلم مطلق الظلم، يعني كل سيئة فهي ظلم، وأن من عمل سيئة أنه لا يكون له أمن ولا اهتداء، هذا الذي شق عليهم، عند ذلك أخبرهم الرسول ﷺ بأن الظلم الذي ليس معه أمن مطلق هو الشرك، أما الظلم ما عدا الشرك، وإن كان ظلما، فلا يقتضي أن يكون صاحبه ليس له أمن أبدا، وليس له اهتداء أبدا، وإن أصيب بما يصاب من جراء مثلا ذنوبه، فالعاقبة تكون على الجميع، ولهذا جاء ا لتعريف بأل، ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾، الأمن هنا يشمل الأمن في الدنيا والأمن في الآخرة، لا يصيبه العذاب في الدنيا مما يصيب الكفار ولا يصيبهم عذاب في الآخرة، وقوله: «ألم تسمعوا قول الرجل الصالح»، ﴿يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾، يعني الشرك هو

الظلم المطلق الذي معه لا أمن ولا اهتداء، أما الذنوب فمعها أمن ومعها اهتداء، ولكن ليس هو الأمن الكامل ولا الاهتداء الكامل، وإذا لم يكن الإنسان معه الأمن الكامل والاهتداء الكامل، فإنه يصاب بعذاب في الدنيا أو بعذاب في الآخرة، ولكن لا يكون كالذي معه شرك، وهذا الذي بين لهم، وهذا يفهمون هذا تماما، ولهذا علموا أن مطلق الذنوب أنها تؤثر في الإيمان نعم.

القارئ: [وَقد ثَبت فِي " الصَّحِيح " عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: أَن " إِبْرَاهِيم خير الْبَرِيَّة " فَهُوَ أفضل الْأَنْبِيَاء بعد النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ خَلِيل الله تَعَالَى].

الشيخ: النبي من النبي بعد النبي من هو النبي؟ هذا نبينا ﷺ، فلابد أنه لا يكون بعد نبينا، ولكن بعد النبي يعني صار معروفا، يعني ما يحتاج أن يقال بعد نبينا معروف لدى المخاطبين، وإذا كان معروفا جاز هذا، أما إذا كان في مقام أداء الشهادة أن أداء الواجب الذي لابد منه، فلابد من تعيينه باسمه العلم، أن تقول محمد، إذا قلت في التشهد، أشهد أن لا إله إلا الله تقول: أشهد أن النبي رسول الله يجوز؟ أشهد أن النبي رسول الله أو أن سيدنا رسول الله؟ لا يجوز ولا يكون، لابد أن تذكره باسمه العلم، تقول: أشهد أن محمدا عبده ورسوله، ولهذا يذكر هذا في الأذان وفي الشهادات وفي غيرها، وعندما يتشهد الإنسان وهو كافر في دخوله وهو يدخل الإسلام لابد أن يذكر اسمه العلم، ولا يكون هذا معارضا بقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء النبى بينكم كدعاء بعضكم

بعضا ﴾، المعنى يقول المفسرون: لا تقولوا يا محمد، ولكن قولوا: يا نبي الله يا رسول الله، هذا لا يدخله، لأن هذا لابد منه يتعين، ولهذا هو ﷺ كانت يقول في تشهده: أشهد أن محمدا عبده ورسوله، هو نفسه يتلفظ بهذا، أشهد أن محمدا عبده ورسوله، ما يقول: أشهد أني عبد الله ورسوله، فقد حفظ ذلك وصار يعلم الصحابة هذا الشيء مثل ما يعلمهم السورة من القرآن كما في حديث عبد الله بن مسعود، وذكر السيد فيه يجوز؟ السيد هذا من البدع لم يأتي، يقول: أشهد أن سيدنا رسول الله، لأنه الآن صار يذكر في الخطب وفي المقامات التي يجتمع فيها الناس، وجاءت وبعضهم يخجل أنه يقول: أشهد أن محمدا عبده ورسوله لماذا؟ لأن كثيرا من المخرفين يعيب عليه، يقول: أنتم تبغضون الرسول وتكرهونه لأنكم لا تقولون سيدنا، لا يجوز مثل هذه الأشياء أنها تؤثر في الإنسان، يجب أن يقول الحق ويقوم به ويعلمه للناس، الصحابة هكذا، بل جاء النهي، لما جاء إليه قوم، كما في حديث وفد بني عامر قالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا، قال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم**»، قالوا: أنت خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا، قال: «**يا أيها الناس لا يستجرينكم الشيطان، لا أحب أن ترفعوني فوق منزلتي، أنا عبد الله ورسوله فقولوا: عبد الله ورسوله**»، إذا قلنا مثل هذا معناه امتثلنا أمره، وإذا تركناه، مع أنه بلا شك أنه سيد، لأن السيد هو المقدم المطاع المقدم في قومه، ولهذا لما جاء ذكر التعليل والفضل، كما في حديث الشفاعة، قال: «**أنا سيد الناس ولا فخر أتدرون ما ذلك؟**»، فذكر العلة، لأنه

هو المقدم في هذا، المقدم في ذلك الموقف، الذي قال الله جل وعلا فيه: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، والمقام المحمود على القول الصحيح هو الشفاعة التي تكون في الموقف، لأنها تشمل الخلق كلهم، من أولهم إلى آخرهم، فهذا المقام الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، لأنه والشفاعة كانت بإذن ربه جل وعلا، وهو الذي وعده ربه جل وعلا إياها رفعا لذكره وإكراما له وإلا فالأمر كله بيد الله جل وعلا، نعم.

القارئ: [وَقد ثَبت فِي " الصَّحِيح " عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من غير وَجه أَنه قَالَ: « إِن الله اتخذني خَلِيلًا كَمَا اتخذ إِبْرَاهِيم خَلِيلًا ». وَقَالَ: « لَو كنت متخذا من أهل الأَرْض خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكر خَلِيلًا وَلَكِن صَاحبكُم خَلِيل الله » يعْنى نَفسه].

الشيخ: يعني معنى هذا أن الخلة لا تقبل المشاركة، فالخليل هو الذي تخلل القلب كله، فلم يبقى فيه موضع لغير الخليل، لهذا قال: «لو كنت متخذ من أهل خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا»، لأن أبا بكر هو أحب الصحابة إليه، وهو كما قال ﷺ «أمن الناس علي بصحبة ومال»، فلم يزل مصاحبا له منذ دخل في الإسلام إلى أن فرق بينهما الموت، والموت فرق الأبدان، وإلا فالمعنى موجود، ومن العجائب في هذا أنه لما توفي الرسول ﷺ، الصحابة كلهم صاروا يقولون لأبي بكر: خليفة رسول الله، ولم يحدث هذا لغير أبي بكر، لما استخلف عمر قالوا نقول: خليفة، خليفة رسول الله قال: هذا شيء بعيد، ولكن أنتم المؤمنون

وأنا أميركم، قولوا: أمير المؤمنين، فانقطع، ما فيه خليفة لرسول الله، وهذا لا ينافي قوله: الخلفاء الراشدون، فالخليفة يطلق على الذي يخلف غيره، فعمر خلف أبا بكر، وعثمان خلف عمر، وعلي خلف عثمان، وهكذا الخلفاء واحد يخلف الثاني، أما أن يقال: الناس مثلا آدم أنه خليفة الله فهذا خطأ، الله ليس له خليفة تعالى الله وتقدس، فالخليفة لمن يغيب أو يذهب أو يموت، فلا يقوم مقامه، أما الله جل وعلا فهو الرقيب الذي هو حي لا يموت، فالمقصود أن صلة أبي بكر برسول الله ﷺ صلة قوية جدا، وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص، لما أرسله في سرية ذات السلاسل، لأنه كانوا من أقربائه، أمره على هذه السرية وأمرهم بالخروج بالذات، فتخلف أمرهم فتخلف ليسلم على الرسول ﷺ، يقول لما صليت معه، قال: ألم تخرجوا، قال: قلت: بلى ذهبوا، ولكني تخلفت لأصلي معك، قال: « **الأمر الذي ذهبوا به لا تدركه بالصلاة معي**»، فسأله أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، الرسول ما يخاشي أحدا، بعض الناس مثلا لو قيل له: أتحب زوجتك، ما يخبر يقول: مالك ولهذا، ولا يذكر ذلك، رسول الله ﷺ لا يداهن أحد يذكر الواقع، لما قيل أي الناس أحب إليك: قال: «**عائشة**»، فقلت: من الرجال، قال: «**أبوها**»، فهو أحب الناس إليه ﷺ، يقول: ثم قلت من، يعني بعد ذلك؟ قال: «**عمر**»، يقول: فلما خفت ألا يذكرني سكت، والمقصود أن الرسول ﷺ قال: «**لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبو بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله**»، يعني أن الخلة لا تقبل

المشاركة في من هو غير الخليل، ولهذا هذا لا ينافي كونه يحب من يحبه، فالحب غير الخلة، الخلة هي أعلى مراتب الحب ليس فوقها شيء إلا العبادة، والعبادة لا يجوز أن تكون إلا لله جل وعلا وحده، نعم، وبهذا يتبين خطأ الذين يقولون: إبراهيم خليل الله ونبينا حبيب الله، والحبيب أقدم من الخليل وأتم، هذا خطأ نعم.

القارئ: [وَقَالَ: " لَا تبقين فِي الْمَسْجِد خوخة إِلَّا سدت إِلَّا خوخة أَبى بكر "].

الشيخ: الخوخة هي النافذة التي تخرج إلى المسجد، كان النبي ﷺ اتخذ بيوته على حائط المسجد، ففتح إليه خوخة، يعني باب يخرج معه ويدخل معه، فاقتضى به الصحابة الذين جعلوا بيوتهم على حائط المسجد، فتحوا أيضا عليه حتى يدخلوا ويخرجوا من قريب، ففي مرض موته قال: «**كل هذه تسد إلا خوخة أبي بكر**»، يقول أهل السنة: هذا إشارة إلى أنه الخليفة بعده، وإشاراته هذه كثيرة وقد تكون قريبة من التصريح، منها قوله: «**مروا أبو بكر فليصلي بالناس**»، تقول عائشة: علمت أن الذي يكون بعد رسول الله سيكره الناس، لأنه لا أحد يعدل رسول الله ﷺ، أن تقوم مقامه وتصلي مكانه وتخطب خطبه وهكذا، أنت لا تساوي شيئا مما هو عليه، كانت هذه نظرتها، تقول: فقلت له يا رسول الله أبو بكر رجل رقيق أسيف إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء، لو أمرت غيره أن يصلي بالناس، لو أمرت عمر، فقال: « **مروا أبو بكر فليصلي بالناس**»، تقول: فذهبت إلى حفصة وقلت لها: اذهبي فقولي له أبو بكر كذا وكذا الشيء

الذي قالته، فذهبت حفصة فقالت للرسول ذلك، فقال: «إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصلي بالناس»، فذهبت حفصة وتقول: لم ألقى منك خيرا، يعني أن الرسول غضب من ذلك وقال هذا القول: «إنكن صواحب يوسف» ، والمقصود أن هذا من الأمور الظاهرة على أن الرسول ﷺ أراد أبا بكر أن يكون هو الخليفة بعده، وفيه أشياء كثيرة، حتى ادعى بعض أهل السنة قال: إن فيها نصوص نعم.

القارئ: [وَقَالَ: « أَلا وَإِن من كَانَ قبلكُمْ كَانُوا يتخذون الْقُبُور مَسَاجِد أَلا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُور مَسَاجِد إني أنهاكم عَن ذَلِك ». وكل هَذَا فِي " الصَّحِيح " وَفِيه أَنه قَالَ ذَلِك قبل مَوته بأيام وَذَلِكَ من تَمام رسَالَته فَإِن فِي ذَلِك تَمام تَحْقِيق مخالته لله الَّتِي أَصْلهَا محبَّة الله تَعَالَى للْعَبد ومحبة العَبْد لله خلافًا للجهمية].

الشيخ: الجهمية ينكرون أن الله يحبه أحد أو يحب أحد، وهذا من العجب، لأن هذا هو أصل الدين، أصل الدين الإسلامي، هذا مما يدل على أنهم ليس مقصدهم الحق، وإنما مقصدهم إفساد العقائد عقائد المسلمين نعم.

القارئ: [وَفِي ذَلِك تَحْقِيق تَوْحِيد الله وَألا يعبدوا إِلَّا إِيَّاه ردا على أشباه الْمُشْركين وَفِيه رد على الرافضة الَّذين يبخسون الصّديق رَضِي الله عَنهُ حَقه وهم أعظم المنتسبين إِلَى الْقبْلَة إشراكا بِعبَادة عَليّ وَغَيره من الْبشر.

والخلة هِيَ كَمَال الْمحبَّة المستلزمة من العَبْد كَمَال الْعُبُودِيَّة لله وَمن الرب سُبْحَانَهُ كَمَال الربوبية لِعِبَادِهِ الَّذين يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

وَلَفظ الْعُبُودِيَّة يتَضَمَّن كَمَال الذل وَكَمَال الْحبّ فَإِنَّهُم يَقُولُونَ قلب متيم إِذا كَانَ متعبدا للمحبوب والمتيم المتعبد وتيم الله عبد الله وَهَذَا على الْكَمَال حصل لإِبْرَاهِيم وَمُحَمّد صلى الله عَلَيْهِمَا وَسلم.

وَلِهَذَا لم يكن لَهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من أهل الأَرْض خَلِيل إِذْ الْخلَّة لَا تحْتَمل الشّركَة فَإِنَّهُ كَمَا قيل فِي الْمَعْنى:

قد تخللت مَسْلَك الرّوح مني ... وبذا سُمي الْخَلِيل خَلِيلًا

بِخِلَاف أصل الْحبّ فَإِنَّهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قد قَالَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح فِي الْحسن وَأُسَامَة: « **اللَّهُمَّ إني أحبهما فأحبهما وَأحب من يحبهما** ». وَسَأَلَهُ عَمْرو بن الْعَاصِ: أَي النَّاس أحب إِلَيْك؟ قَالَ: «**عَائِشَة** ».

قَالَ: فَمن الرِّجَال؟ قَالَ: "أَبوهَا ". وَقَالَ لعَلي رَضِي الله عَنهُ: « **لَأُعْطِيَن الرَّايَة غَدا رجلا يحب الله وَرَسُوله وَيُحِبهُ الله وَرَسُوله** ». وأمثال ذَلِك كثير].

الشيخ: لأن الله جل وعلا يحب المؤمنين ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب المحسنين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص، فمقتضى محبة الله جلا وعلا هي طاعته وإتباع أمره، وكذلك الذي يحبه الله

ويحبه رسوله، وقال الله جل وعلا: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾، وإتباع الرسول ﷺ هو علامة محبة الله جل وعلا، ولا تحصل إلا بهذا، فالمحبة مشتركة ولها درجات، فهؤلاء المؤمنون الله يحب المؤمنين والمحسين والتوابين والمتطهرين والتوابين، وهم ليسوا على نمط واحد، على درجات، فكل من كان لله أتقى وأورع، فحب الله له أتم وأكثر، وكذلك هم أيضا يتفاوتون في حبهم لله، ولهذا تفاوتت درجاتهم في الجنة، فبعضهم في أعلى عليين وبعضهم في أدنى الجنة نعم.

القارئ: [وَقد أخبر تَعَالَى أَنه يحب الْمُتَّقِينَ وَيُحب الْمُحْسِنِينَ وَيُحب المقسطين وَيُحب التوابين وَيُحب المتطهرين].

الشيخ: المقسطين يعني أهل العدل، الذين يعدلون فيما ولوا وما حكموا به، نعم.

القارئ: [وَيُحب الَّذين يُقَاتلُون فِي سَبيله صفا كَأَنَّهُمْ بُنيان مرصوص وَقَالَ [٥٤ الْمَائِدَة] : ﴿فَسَوف يَأْتِى الله بِقوم يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فقد أخبر بمحبته لِعِبَادِهِ الْمُؤمنِينَ ومحبة الْمُؤمنِينَ لَهُ حَتَّى قَالَ [١٦٥ الْبَقَرَة] : ﴿وَالَّذين آمنُوا أَشد حبا لله﴾ .

وَأما الْخلَّة فخاصة وَقَول بعض النَّاس: إِن مُحَمَّدًا حبيب الله وَإِبْرَاهِيم خَلِيل الله وظنه أَن الْمحبَّة فَوق الْخلَّة قَول ضَعِيف فَإِن مُحَمَّدًا أَيْضا خَلِيل الله].

الشيخ: هو قول باطل وليس قول ضعيف، قول باطل، لأن خلاف الأدلة، وما كان خلاف الأدلة فهو باطل، نعم.

القارئ: [فَإِن مُحَمَّدًا أَيْضا خَلِيل الله كَمَا ثَبت ذَلِك فِي الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة المستفيضة.

وَمَا يرْوى أَن الْعَبَّاس يحْشر بَين حبيب وخليل وأمثال ذَلِك فأحاديث مَوْضُوعَة لَا تصلح أَن يعْتَمد عَلَيْهَا].

الشيخ: الموضوع لا يصلح لشيء أصلا، لأن الموضوع معناه المكذوب، الذي كذب على رسول الله ﷺ، فلا يستدل بها فقط، بل يجب ألا يلتفت إليها بشيء نعم.

القارئ: [وَقد قدمنَا أَن محبَّة الله تَعَالَى هِيَ محبته ومحبة مَا أحب كَمَا فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: « ثَلَاث من كن فِيهِ وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله وَمن كَانَ يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد إِذْ أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى فِي النَّار ». أخبر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَن من كَانَ فِيهِ هَذِه الثَّلَاث وجد حلاوة الْإِيمَان لِأَن وجد الْحَلَاوَة بالشَّيْء يتبع الْمحبَّة لَهُ فَمن أحب شَيْئا أَو اشتهاه إِذا حصل لَهُ مُرَاده فَإِنَّهُ يجد الْحَلَاوَة واللذة وَالسُّرُور بذلك واللذة أَمر

يحصل عقيب إِدْرَاك الملائم الَّذِي هُوَ المحبوب أَو المشتهى. وَمن قَالَ: إِن اللَّذَّة إِدْرَاك الملائم - كَمَا يَقُوله من يَقُوله من المتفلسفة والأطباء - فقد غلط فِي ذَلِك غَلطا بَينا فَإِن الْإِدْرَاك يتوسط بَين الْمحبَّة واللذة فَإِن الْإِنْسَان مثلا يَشْتَهِي الطَّعَام فَإِذا أكله حصل لَهُ عقيب ذَلِك اللَّذَّة فاللذة تتبع النّظر إِلَى الشَّيْء فَإِذا نظر إِلَيْهِ التذ بِهِ واللذة الَّتِي تتبع النّظر لَيست نفس النّظر وَلَيْسَت هِيَ رُؤْيَة الشَّيْء بل تحصل عقيب رُؤْيَته وَقَالَ تَعَالَى [٧١ الزخرف] : ﴿وفيها ما تشتهيه الْأَنفس وتلذ الْأَعين﴾ وَهَكَذَا جَمِيع مَا يحصل للنَّفس من اللَّذَّات والآلام من فَرح وحزن وَنَحْو ذَلِك يحصل بالشعور بالمحبوب أَو الشُّعُور بالمكروه وَلَيْسَ نفس الشُّعُور هُوَ الْفَرح وَلَا الْحزن.

فحلاوة الْإِيمَان المتضمنة من اللَّذَّة بِهِ والفرح مَا يجده الْمُؤمن الْوَاجِد حلاوة الْإِيمَان تتبع كَمَال محبَّة العَبْد لله وَذَلِكَ بِثَلَاثَة أُمُور: تَكْمِيل هَذِه الْمحبَّة وتفريقها وَدفع ضدها. فتكميلها أَن يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا فَإِن محبَّة الله وَرَسُوله لَا يكْتَفى فِيهَا بِأَصْل الْحبّ].

الشيخ: تكميل أيش؟ تكميل هذه المحبة وتفريعها، ودفع ضدها، أما تفريعها فمعناه محبة ما يحبه، وبعض ما يكره، وأما دفع ضدها بأن لا يكون هناك مشاركة في هذه المحبة، ولا يكون مثلا لها مشارك فيها محبة الله جل وعلا، ودفع ضدها كراهة ما يبغضه، يعني أن تكره ما يبغضه الله جل وعلا، وتكميلها أيضا

أن يكون الرسول ﷺ أحب إليك من نفسك وولدك والناس أجمعين، فهذا من كمال محبة الله جل وعلا، ولهذا قال: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»، وكذلك من الفروع، أن تحب ما يحبه الله، من فروعها، وتطبيقها، وكذلك كونك مثلا تبغضك ما يضاد ذلك، هذا لابد منه، ولهذا فسر يقول: وتفريعها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، يعني تحب ما يحبه الله، هذا هو تفريع المحبة لله، ودفع ضدها أن تكره ا يبغضه الله جل وعلا، بل ما تكفي الكراهة فقط، لابد من البغض والمعاداة، نعم.

القارئ: [وَدفع ضدها أَن يكره ضد الْإِيمَان أعظم من كَرَاهَته الْإِلْقَاء فِي النَّار.

فَإِذا كَانَت محبَّة الرَّسُول وَالْمُؤمنِينَ من محبَّة الله وَكَانَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يحب الْمُؤمنِينَ الَّذين يُحِبهُمْ الله لِأَنَّهُ أكمل النَّاس محبَّة لله وأحقهم بِأَن يحب مَا يُحِبهُ الله وَيبغض مَا يبغضه الله والخلة لَيْسَ فِيهَا لغير الله نصيب بل قَالَ: " لَو كنت متخذا من أهل الأَرْض خَلِيلًا لاتخذت أَبَا بكر خَلِيلًا " علم مزِيد مرتبَة الْخلَّة على مُطلق الْمحبَّة.

وَالْمَقْصُود هُوَ أَن الْخلَّة والمحبة لله تَحْقِيق عبوديته وَإِنَّمَا يغلط من يغلط فِي هَذِه من حَيْثُ يتوهمون أَن الْعُبُودِيَّة مُجَرّد ذل وخضوع فَقَط لَا محبَّة مَعَه وَأَن الْمحبَّة فِيهَا انبساط فِي الْأَهْوَاء أَو إدلال لَا تحتمله الربوبية وَلِهَذَا يذكر عَن ذِي النُّون أَنهم تكلمُوا عِنْده فِي مَسْأَلَة الْمحبَّة فَقَالَ: أَمْسكُوا عَن هَذِه الْمَسْأَلَة لَا تسمعها

النُّفُوس فتدعيها. وَكره من كره من أهل الْمعرفَة وَالْعلم مجالسة أَقوام يكثرون الْكَلَام فِي الْمحبَّة بِلَا خشيَة].

الشيخ: حتى لا يدعي الإنسان المحبة وهو بعيد عنها، أو أن ليس معه إلا مجرد الحب الذي لابد منه وهو التأله، مجرد التأله فقط، الحب درجات، ينتهي بأنه يكره أن يخالف ربه كما يكره أنه يقطع إربا أو يلقى في النار، ومعلوم أن الألم في النار، ألم لا يحتمله شديد جدا، فيكون مماثل لهذا الشيء، كونه يطرح في النار، مكروهات ربه جل وعلا نعم.

القارئ: [وَقَالَ من قَالَ من السّلف: من عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق وَمن عَبده بالرجاء وَحده فَهُوَ مرجئ وَمن عَبده بالخوف وَحده فَهُوَ حروري وَمن عَبده بالحب وَالْخَوْف والرجاء فَهُوَ مُؤمن موحد].

الشيخ: يعني هذا قول بعض العلماء، وفي ذلك رد على الذين يقولون: أننا نعبد الله جل وعلا لذاته، وقد يكون مثلا القائل منهم، أنا لا أعبده لأني أخاف من النار أو أريد الجنة، بل أعبده حبا له، وشوقا إليه فقط، ولهذا أحد هؤلاء الذين يقول مثل هذا القول، ابتلي بحبس البول احتبس بوله، فكان يمشي على الصبيان الصغار الذين يظن أنهم يستجاب دعوتهم لأن ليس لهم ذنوب، استغفروا لعمكم الكذاب، واسألوا له العافية، لأني كنت أقول كذا، فابتليت بذلك فما استطعت أن أصبر، الإنسان ضعيف ابتلي بالألم يألم فكيف النار؟ هذا

تبين كذب الذي يقول: لو أحرقني بالنار ما تغيرت، فأنا أريد حبه فقط، أعبده لحبه ولا أريد بحبه الجنة، هذا مخالف لأمر الله، لأن الله جل وعلا، يذكر لنا الجنة ويذكر لنا النار لماذا؟ حتى نخاف الوقوع في الجنة ونرغب في الوقوع في النار ونرغب في الجنة، ويكون ذلك من الدوافع على العمل، الإنسان ضعيف لا يستطيع أن يصبر على الشيء الذي يحتاجه، ولا يصبر على الألم الذي يؤلمه لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالواجب أنه يسأل ربه العافية والسلامة من المؤذيات والمؤلمات، وهو لا يستغني عن ذلك بحال من الأحوال، لا يستغني عن كونه يعمل على دفع المؤذي المؤلم، وجلب المنعم الملذ، هذا أمر ضروري، ثم لابد أن يفعل السبب، لأن سبب الدفع وسبب الجلب، جلب هذا ودفع هذا، لهذا نقول: الأمور أربعة التي لابد منها، يعني أن تسعى أن تأتي بالسبب في السعي لدفع المؤلم المؤذي، وتأتي بالسبب لجلب المنعم الذي تتنعم به وتلذ به، وسبب ومسبب للجانبين لهذا وهذا، وهذه الأمور كلها بيد الله، ليست بيد العبد، فتبين أنه لابد للعبد من اللجوء إلى الله جل وعلا، وأن ينزل به حاجاته فهو الذي ينجيه من المؤلمات،وهو الذي جل وعلا يمن عليه بتحصيل الملذات نعم.

القارئ: [وَلِهَذَا وجد فِي الْمُتَأَخِّرين من انبسط فِي دَعْوَى الْمحبَّة حَتَّى أخرجه ذَلِك إِلَى نوع من الرعونة وَالدَّعْوَى الَّتِي تنَافِي الْعُبُودِيَّة وَتدْخل العَبْد فِي نوع من الربوبية الَّتِي لَا تصلح إِلَّا لله فيدعي أحدهم دعاوى تتجاوز حُدُود الْأَنْبِيَاء

وَالْمُرْسلِينَ أَو يطْلب من الله مَا لَا يصلح بِكُل وَجه إِلَّا لله لَا يصلح للأنبياء وَلَا للمرسلين.

وَهَذَا بَاب وَقع فِيهِ كثير من الشُّيُوخ وَسَببه ضعف تَحْقِيق الْعُبُودِيَّة الَّتِي بيّنها الرُّسُل وحررها].

الشيخ: قصده بالشيوخ الذين هو شيوخ التصوف، الذين لم يتحلوا بالعلم، وإنما اجتهدوا في السلوك وفي العبادة والتقشف وغير ذلك، فصار عندهم شيء من الجهل في هذا، صاروا يدعون دعاوى ما ادعتها الرسل، من أنهم أهل المحبة، وأنهم أهل لأن يكون أحدهم في مكان كذا، حتى كان أحدهم يقول: سوف أحمي أتباعي أن يقع منهم أحد في النار، هذا جهل فظيع نسأل الله العافية نعم.

القارئ: [وحررها الْأَمر وَالنَّهْي الَّذِي جَاءُوا بِهِ بل ضعف الْعقل الَّذِي بِهِ يعرف العَبْد حَقِيقَته وَإِذا ضعف الْعقل وقلص الْعلم بِالدّينِ وَفِي النَّفس محبَّة طائشة جاهلة انبسطت النَّفس بحمقها فِي ذَلِك كَمَا ينبسط الْإِنْسَان فِي محبَّة الْإِنْسَان مَعَ حمقه وجهله وَيَقُول: أَنا محب فَلَا أؤاخذ بِمَا أَفعلهُ من أَنْوَاع يكون فِيهَا عدوان وَجَهل فَهَذَا عين الضلال وَهُوَ شَبيه بقول الْيَهُود وَالنَّصَارَى [١٨ الْمَائِدَة] : ﴿نَحن أَبنَاء الله وأحباؤه﴾ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قل فَلم يعذبكم بذنوبكم بل أَنْتُم بشر مِمَّن خلق يغْفر لمن يَشَاء ويعذب من يَشَاء﴾].

الشيخ: يعني لو كنتم أحباؤه ما عذبهم، هل الله يعذب أحباؤه؟ وأما أبناء، ما يقصدون من البنوة، وإنما يقصدون من الذين يتولونه ويقوم على مصالحهم وعلى ملاذهم وغيره، كما يقوم الأب لابنه، ومعلوم أن الأب يحاول ألا ينال ابنه أي عذاب، فهذا مقصودهم، أما أنهم يدعون أن لله أبناء، هذا إذا وقع فهو من قلة منهم، واحدا أو ما أشبه ذلك، فالذي قال: إن الله فقير رجل واحد، وكذلك الذين قالوا: إن الله بخيل، لكن قضيتهم يرضون، ولهذا نسب إليهم عموما نعم.

القارئ: [فَإِن تعذيبه لَهُم بِذُنُوبِهِمْ يَقْتَضِي أَنهم غير محبوبين وَلَا منسوبين إِلَيْهِ بِنسَب الْبُنُوَّة بل يَقْتَضِي أَنهم مربوبون مخلوقون.

فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ ومحبوبه لَا يفعل مَا يبغضه الْحق ويسخطه من الْكفْر والفسوق والعصيان وَمن فعل الْكَبَائِر وأصر عَلَيْهَا وَلم يتب مِنْهَا فَإِن الله يبغض مِنْهُ ذَلِك كَمَا يحب مِنْهُ مَا يَفْعَله من الْخَيْر إِذْ حبه للْعَبد بِحَسب إِيمَانه وتقواه.

وَمن ظن أَن الذُّنُوب لَا تضره لكَون الله يُحِبهُ مَعَ إصراره عَلَيْهَا كَانَ بِمَنْزِلَة من زعم أَن تنَاول السم لَا يضرّهُ مَعَ مداومته عَلَيْهِ وَعدم تداويه مِنْهُ لصِحَّة مزاجه وَلَو تدبر الأحمق مَا قصّ الله فِي كِتَابه من قصَص أنبيائه وَمَا جرى لَهُم من التَّوْبَة وَالِاسْتِغْفَار وَمَا أصيبوا بِهِ من أَنْوَاع الْبلَاء الَّذِي فِيهِ تمحيص لَهُم وتطهير

بِحَسب أَحْوَالهم علم بعض ضَرَر الـذُّنُوب بأصـحابها وَلَـو كَـانَ أرفـع النَّـاس مقَاما فَإِن الْمُحب للمخلوق إِذا لم يكن عَارِفًا بمحابّـه وَلَا مرِيـدا لَهَـا بـل يعْمـل بِمُقْتَضى الْحبّ وَإِن كَانَ جهلا وظلما كَانَ ذَلِك سَببا لِبُغْض المحبوب لَهُ ونفـوره عَنهُ بل سَببا لعقوبته.

وَكثير من السالكين سلكوا فِي دَعْوَى حب الله أنواعا من أُمُور الْجَهْـل بِالـدّينِ: إِمَّا من تعدِي حُدُود الله وَإِمَّا من تَضْييع حُقُوق الله وَإِمَّـا مـن ادِّعَـاء الـدَّعَاوَى الْبَاطِلَة الَّتِي لَا حَقِيقَة لَهَا كَقَوْل بَعضهم: أَي مُرِيد لي ترك فِي النَّار أحدا فَأَنا برِئ مِنْهُ، فَقَالَ الآخر: أَي مُرِيد لي ترك أحدا من الْمُؤمنِينَ يدْخل النَّار فَأَنا مِنْهُ بَـرِيء. فَالْأول جعل مريده يخرج كل من فِي النَّار.

وَالثَّانِي جعل مريده يمْنَع أهل الْكَبَائِر من دُخُول النَّار].

الشيخ: حتى فرعون، حتى فرعون وإبلـيس مـا يريـد أن يكـون في النـار فهـم يخرجونهم، هذا جنون، والجنون فنون، قـد يكـون يتعـدى المعقـول، لا يعقـل، والمريد أي مريد، يعني المريد في لغتهم وفي اصطلاحهم، هو التلميذ الذي يتبعه ويطيعه ويتأدب بآدابه، كأن النار بأيديهم والنار بأيديهم يتـصرفون فيهـا، وهـذا لا يكفي أن يقال أنه جنون، هذا خروج عن جنس العقل نعم.

القارئ: [وَيَقُول بَعضهم: إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة نصبت خَيْمَتي على جَهَنَّم حَتَّى لَا يدخلهَا أحد].

الشيخ: ايش خيمته، الخيمة، يخرج من هذه الدنيا بكفن يستر به بدنه، ثم يتمزق بسرعة ويصبح هو أفقر ما يكون، وسوف يخرج من قبره كيوم ولدته أمه، حافيا عاريا لا يملك نعالا ولا يملك ما يستر به عورته، لا يكون عنده شيء، لا شك أن هذا جهل، جعل وضلال نسأل الله العافية نعم، كيف مثل هذا يسمى شيخ ويكون مثلا يقتدى به، ولولا أن الناس يقعون في جهل فزيع، يدعي العلم من ليس عنده علم، ويدعي السلوك والأدب مع الله وعبادته من هو من أبعد الناس، من كإبليس ولا أبعد من ذلك، وهكذا الشيطان يضحك ببني آدم، كما أخبرنا ربنا جل وعلا أنه أقسم لله أنه سوف يحتنكن ذرية بني آدم أيش معنى يحتنكن؟ يجعلهم تحت حنكه يتصرف فيهم كيف يشاء، عبارة أنهم يصرفهم كيف يريد، استثنى من ذلك عباد الله المخلصين، الذين خلصهم الله جل وعلا من إتباع الشيطان، وهؤلاء من أكبر أتباع الشيطان، لأنه يغتر بهم من يغتر، الذين يرون أنهم أولياء نعم، من عجائب يعني كون الإنسان، يعني من أعجب الأشياء سلوك الإنسان وتصرفه، أحيانا يتصرف تصرف أقبح من تصرف الحيوانات وأقبح من تصرف الكلاب، والله ربما تكون الكلاب أحسن منه، من أراد أن ينظر إلى شيء من ذلك فليقرأ بعض الكتاب، مثل وهو كتب عجيب، كيف مثلا مطابع المسلمين تطبع هذه الكتب وتنشرها بين المسلمين؟ الكتب

التي يسمونها طبقات الأولياء، مثل كتب الشعراني وكتب النبهاني، جامع كرامات الأولياء وغيرها، كلها دعوى للشرك والكفر بالله إلا ما شاء الله، حتى يذكر فيها شيء يخجل منه الإنسان، هذا اللي هو من باب التحذير من باب يعني العبرة، وإلا قد يزيغ القلب، ويصبح القبح عنده حسن، الشعراني يقول في بعض سادته الذي يسمونه سادته كبرائه الذين هم من شيوخه، يقول: أحدهم يأتي إلى المسجد يخطب الناس وليس عليه مزعة ثياب، كما ولدته أمه له شعور وله مناظر قبيحة، الصغير قد مثلا النظر إليه يكون مستساغ، الكبير النظر إليه قبيح جدا في مثل هذه الأشياء، كيف يكون هذا؟ كيف يذكر هذا ويجعله على من المناقب؟ أيش وجه يجعله من المناقب، يقول: أنه لا يبالي بالقادح والمادح، يعني أصبح لا عقل له، ويذكر من هذا النوع أشياء كثيرة من هذا القبيل، كيف مثل هذا الكتاب ينشر به هذه الأشياء ثم يطبع وينشر ويقرأ، ويقال أنه طبقات الأولياء، فالواقع أنه طبقات الشياطين، ولكن شياطين من أين؟ من بني آدم نسأل الله العافية، طبعا ها الجنس من جنس الذين يقولون: الشيخ بهذا، فهم موجودون في كل بلد وفي كل وقت نسأل الله العافية.

القارئ: [وَمثل هَذَا قد يصدر فِي حَال سكر وَغَلَبَة وفناء يسْقط فِيهَا تَمْيِيز الْإِنْسَان أَو يضعف حَتَّى لَا يدْرِي مَا قَالَ. وَالسكر هُوَ لَذَّة مَعَ عدم تَمْيِيز وَلِهَذَا كَانَ من هَؤُلَاءِ من إِذا صَحا اسْتغْفر من ذَلِك الْكَلَام].

الشيخ: السكر هذا الذي يصيبه سكر ليس من سكر الخمر، سكر عقلي، إما لأن الشيطان يستولي عليه ويصبح عندما يسمع الغناء يذهب عقله ويتصرف تصرف البهائم، وإذا مثلا ذهب عنه هذا الوجد الذي يسمونه الوجد، إذا تواجدوا ذهبت عقولهم نهائيا، ويرقص ويغني حتى يستولي الشيطان على قلبه، ثم يصبح يتصرف تصرف البهائم، وإلا فالبهائم أحسن منه، ثم إذا قيل له: إنك فعلت كذا وكذا، ينكر هذا، يقول: ما وقع مني شيء لأنه أيش؟ قد ذهب عقله عند ذلك، هذا يقع من بعضهم نعم.

القارئ: [وَالَّذين توسعوا من الشُّيُوخ فِي سَماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام كَانَ هَذَا أصل مقصدهم فَإِن هَذَا الْجِنْس يُحَرك مَا فِي الْقلب من الْحبّ كَائِنا مَا كَانَ].

الشيخ: يحرك حب الشهوات في الواقع، يحرك حب الشهوات، وإن زعموا أن هذا حب لله فهو كذب، حب للأغاني والنغمات الجميلة، وقد يكون حب الصبيان المردان، وقد يكون حب النسوان، وهذا يجتمعون جميعا، وتحصل هذه الأشياء منهم، فكل ما خالف ما جاء به المصطفى ﷺ لا ينتج إلا الضلال والبعد عن الله جل وعلا نعم.

القارئ: [وَلِهَذَا أنزل الله محنة يمْتَحن بهَا الْمُحب فَقَالَ [٣١ آل عمرَان] : ﴿قل إِن كُنتُم تحبون الله فَاتبعُونى يحببكم الله﴾].

الشيخ: هذه الآية يسمونها آية المحنة، لأن فيها الامتحان، امتحان الذين قالوا: إنا نحب الله حبا شديدا، فأنزل الله جل وعلا هذه الآية: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾، فهذا علامة محبة الله التمسك بما جاء به المصطفىﷺ، أما أن يدعي الإنسان أنه يحب الله ويحب الرسول وهو يخالف أمره، فهذه دعوى غير مقبولة وغير مستساغة نعم.

القارئ: [فَلَا يكون محبا لله إِلَّا من يتبع رَسُوله وَطَاعَة الرَّسُول ومتابعته لَا تكون إِلَّا بتحقيق الْعُبُودِيَّة وَكثير مِمَّن يَدعِي الْمحبَّة يخرج عَن شَرِيعَته وسنته صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَيَدعِي من الْحَالَات مَا لَا يَتَّسِع هَذَا الْموضع لذكره حَتَّى قد يظنّ أحدهم سُقُوط الْأَمر وَتَحْلِيل الْحَرَام لَهُ وَغير ذَلِك مِمَّا فِيهِ مُخَالفَة شَرِيعَة الرَّسُول وسنته وطاعته.

بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رَسُوله الْجِهَاد فِي سَبيله وَالْجِهَاد يتَضَمَّن كَمَال محبَّة مَا أَمر الله بِهِ وَكَمَال بغض مَا نهى الله عَنهُ وَلِهَذَا قَالَ فِي صفة من يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [٥٤ الْمَائِدَة] :

﴿أذلة على الْمُؤمنِينَ أعزة على الْكَافرين يجاهدون فِى سَبِيل الله وَلَا يخَافُونَ لومة لائم﴾ .وَلِهَذَا كَانَت محبَّة هَذِه الْأمة لله أكمل من محبَّة من قبلهَا وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم].

الشيخ: كل الأمة، الأمة من ذكر كما سبق، أنهم كيف يصنعون هذه الأشياء؟ ولكن مقصوده الذين اتبعوا الرسول ﷺ واقتدوا به وأطاعوا أمره واجتنبوا ما نهى عنه نعم.

الشيخ: [وَلِهَذَا كَانَت محبَّة هَذِه الْأمة لله أكمل من محبَّة من قبلهَا وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم وأكمل هَذِه الْأمة فِي ذَلِك هم أَصْحَاب مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَمن كَانَ بهم أشبه كَانَ ذَلِك فِيهِ أكمل فَأَيْنَ هَذَا من قوم يدعونَ الْمحبَّة؟ وَفِي كَلَام بعض الشُّيُوخ: الْمحبَّة نَار تحرق فِي الْقلب مَا سوى مُرَاد المحبوب. وَأَرَادُوا أَن الْكَوْن كُله قد أَرَادَ الله وجوده فظنوا أَن كَمَال الْمحبَّة أَن يحب العَبْد كل شَيْء].

الشيخ: أراد الله وجوده، لأن وجوده مفعول، لأن هذه الإرادة الكونية فعندهم لا فرق بين الإرادة الكونية والإرادة الدينية، فهم يقولون: نحن بطاعة دائمة لا نخرج عنها، وهذا قصور وضلال بين، فإذاً يكون الشيطان أيضا في طاعة، لأن الله أراد وجوده وأراد كونه نعم.

القارئ: [فظنوا أَن كَمَال الْمحبَّة أَن يحب العَبْد كل شَيْء حَتَّى الْكفْر والفسوق والعصيان وَلَا يُمكن لأحد أَن يحب كل مَوْجُود بل يحب مَا يلائمه وينفعه وَيبغض مَا يُنَافِيهِ ويضره وَلَكِن استفادوا بِهَذَا الضلال اتِّبَاع أهوائهم ثمَّ زادهم انغماسا فِي أهوائهم وشهواتهم فهم يحبونَ مَا يهوونه كالصور والرئاسة وفضول

المَال والبدع المضلة زاعمين أَن هَذَا من محبَّة الله وَمن محبَّة الله بغض مَا يبغضه الله وَرَسُوله وَجِهَاد أَهله بِالنَّفسِ وَالْمَال.

وأصل ضلالهم: أَن هَذَا الْقَائِل الَّذِي قَالَ: إِن الْمحبَّة نَار تحرق مَا سوى مُرَاد المحبوب، قصد بِمُرَاد الله تَعَالَى: الْإِرَادَة الكونية فِي كل الموجودات.

أما لَو قَالَ مُؤمن بِاللَّهِ وَكتبه وَرُسُله، هَذِه الْمَقَالة، فَإِنَّهُ يقْصد الْإِرَادَة الدِّينِيَّة الشَّرْعِيَّة الَّتِي هِيَ بِمَعْنى محبته وَرضَاهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: تحرق من الْقلب مَا سوى المحبوب لله. وَهَذَا معنى صَحِيح فَإِن من تَمام الْحبّ لله أَلا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله فَإِذا أَحْبَبْت مَا لَا يحب كَانَت الْمحبَّة نَاقِصَة. وَأما قَضَاؤُهُ وَقدره فَهُوَ يبغضه ويكرهه ويسخطه وَينْهى عَنهُ فَإِن لم أوافقه فِي بغضه وكراهته وَسخطه لم أكن محبا لَهُ بل محبا لما يبغضه. فاتباع هَذِه الشَّرِيعَة وَالْقِيَام بِالْجِهَادِ بهَا من أعظم الفروق بَين أهل محبَّة الله وأوليائه الَّذين يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ].

الشيخ: وقوله: أن قضائه وقدره فهو يبغضه ويكره ويسخطه، يعني لا يلزم أن يكون القضاء كله، لأن القضاء والقدر قد يتفق مع الأمر الذي يأمر به، فإذا كان متفقا فهو يحبه، كذلك إذا كان مخالفا فالله جل وعلا أراد أن توجد المتضادات حتى يتبين الحق من الباطل، ويتبين المجاهد من عدمه، وإلا لو لم يوجد الكفر ويوجد الشرك ما تبين الذين يجاهدون في إنكاره وفي إزالته ووقع الجهاد منهم، نسأل الله جل وعلا أن يوفقنا للحق ويهدينا إليه، والسؤال هنا

قبل أن، مر معنا أن كلمة أمة في القرآن تأتي بعدة معاني، من يذكر لنا ثلاثة منها نعم، كلمة الأمة، الزمن أيش مثال؟ والمعنى الثاني: الإمام القدوة نعم، الطائفة طائفة من الناس، طب فيه معنى رابع، هو ذكره ا لطائفة هي الجماعة، طيب الحب الذي يجب أن يكون لله جل وعلا ما الفرق بينه وبين محبة الرسول ﷺ؟

الطالب: ..

الشيخ: يكفي خلاص كل واحد يأخذ مكانه.